

## مختارات من الشعر الألباني

نعيم فراشي Naim frasheri

■ عبد اللطيف أناؤوط ■

ولد الشاعر /نعيم حامد فراشري/ في عام ١٨٤٦م في قرية بجنوب البانيا من عائلة ذات دخل محدود، اضطر أبوه وأخوه الكبير أن يعملوا موظفين في الدولة. وأمضى أيام حياته الاولى في قريته ذات الجمال الطبيعي اليبدي مما ترك في قلبه أثراً عميقاً.

تلقى (نعيم) أولى دروسه من شيخ مسلم متقن في قريته، فتعلم اللغة العربية والفارسية والتركية مما ساعده فيما بعد أن يطلع على أدب الشعوب الشرقية.

وفي عام ١٨٦٥ انتقلت عائلته السني مدينته (وانينا) المركز الاداري حينذاك، وشغف بالمطالعة والقراءة، وقد أثار أدباء الرومان واليونان خياله، فقرأ هوميروس وفرجيل. وأثر نتاج الكتاب الفرنسيين أمثال: فولتير وروسو في تفكيره، فاكتسب منهما حب المعرفة فرافقه هذا الحب طوال حياته. ويتحدث في إحدى كتاباته مشيداً بالثورة الفرنسية ومعجباً بالرجال الذين شاركوا في هذا الانقلاب التاريخي:

كانت أوروبا محطمة في ذلك الوقت

يلفها نأس كبير

لكنها بدأت في النهوض

بقدوم روسو وفولتير

كما بذل جهداً كبيراً في دراسة شعراء الفرس المشهورين مثل: (جلال الدين الرومي) ونشر مختارات شعرية باللغة الفارسية في ديوان (تخيانات) وكانت

محاولاته الأولى تقليدية وفي عام ١٨٧١ عمل (نعيم) موظفاً في جنوب البانيا، ثم مرض وغادر البلاد طنباً للاستشفاء. ولما أبل من مرضه، عاد إلى البانيا وكان حينذاك بين عامي ١٨٧٧ و ١٨٧٨ قد أعلنت رابطة (بريزرن Prizren) التعبئة العامة المسلحة للدفاع عن البلاد. وكان أخوه (عبدول فراشري) أحد رؤساء تلك الرابطة عندئذ تغير أسلوب (نعيم) الشعري، وتخلصت تأليفه من الرواسب التقليدية، واتسمت بنزعة التحرر والاستقلال.

وفي عام ١٨٨٢ انتقل (نعيم) مع أفراد عائلته إلى القسطنطينية ونشط انتاجه الأدبي والوطني. وانضم هناك إلى جماعة الألبانيين الذين نذروا أنفسهم لتنمية الوعي القومي فيما بينهم. وكان أخوه الآخر (سامي فراشري) من بين قادة هذه الجماعة. فهاجم (نعيم) بتنمية الحركة الوطنية في القسطنطينية، وإيقاظ الشعور القومي بين أفراد الألبانيين المهاجرين.

وبما أنه كان عضواً في لجنة الرقابة بوزارة التعليم فقد حصل على إذن لنشر بعض الكتب باللغة الألبانية، مما أتيح له نشر بعض الكتب الثقافية تضمنت الدعوة إلى حب العمل واحترام الناس وإطراء فضائل النبل والشجاعة والإخلاص. وعرض آراءه الخاصة في الشعر كما جاء في قصيدة (كلمات الشموع) إذ يقول: (إن الشعر يجب أن يُنبئ الطريق للناس وأن يساعد الألبانيين على معرفة واقعهم وأنفسهم) ويشبه الشاعر نفسه ببشير ينقل الأخبار الطيبة:

أقف بينكم مشتعلاً  
وسأحرق نفسي عما قريب  
لأبشر الطريق وأبذل الظلام  
وأحول الليل إلى نهار

سيطع نوري للناس  
مشعلاً مضيقاً  
آنذاك سيزداد مروري  
وأنتم تتأدون بعضهم بعضاً  
بالأسماء والكنى

## ■ مختارات من الشعر الألباني ■

وظلَّ الشاعر أميناً لمفاهيمه الشعرية وأثرها في الحياة وشجعه الحب العميق  
لبلاده على العمل:

لكي يوحى لألبانيا

بنور من بصيرته..

وتتركز أهمية قصيدته (كلمات الشموع) في أنها تنصح عن رأي الشاعر في  
حركة التحرر الوطنية، وكانت هذه القصيدة موضع إعجاب وتقدير كل من اطلع  
عليها، وصنّف من ثم بالإجماع شاعراً للحركة الوطنية..

وقصيدته (القطعان والمزارع) أغنية مهداة للريف الألباني، للحقول والغابات  
والعاملين على تربية الحيوان، وهي إلى جانب ذلك مفعمّة بحب كبير للوطن، إذ  
يقول:

يا جبال البانيا الشامخة

يا أشجارها الجميلة

أيتها الحقول المزهرة

أفكر فيك يا ضباب

أفكر في الأنهار المجاورة

وفي القمم والصفوح والتلال..

وأجسام الغابات

دعوني أُنشد أغنيتي..

للقطعان المسارحة هناك..

ما أجملك يا بلادي...!!!

ويضيف الشاعر أن الطبيعة أغنت البلاد بكل شيء جميل فضمت إليها معالم  
الفتنة والجمال. وهو يصف حياة الرعاة والقطعان وحركتها في أثناء الرعي  
بدقة، فيمنحنا الدفء والأنس، ويرى أن بلداً كالألبانيا يجب ألا ترسف في أغلال  
العبودية، وأن الجبال العالية التي تلتهم قممها الغيوم لتوحي بالصمود والمقاومة:

يا جبال البانيا بقممها الشامخة

يا من أُرهِبت العدو

واخترقت الجوزاء

وتبددت عند ذراك الغيوم..

أيتها الراسخة الى الأبد.

ويفتخر الشاعر فيها أيضاً بأنه ألباني من نسل هذه البلاد العريقة الغنية  
بالجمال، الطاهرة الأخلاق، ويباهي بحبه لها، ويهتف:

يا ألبانيا!!..

أنا مدين لك يا سمي وشهرتي

بقتبي المتهيب وبحبني

ستظلن في ذاكرتي، يا أُمي العزيزة

أينما كنت: قريباً أو بعيداً

وفي عام ١٨٩٠م نشر (نعيم فراشري) ديوان (أزهار الربيع) مجموعة قصائد  
غنائية سياسية غزلية وفلسفية. والموضوع السائد في كتاباته هو موضوع  
الوطنية. وملاً للشاعر قصائده بحبه لألبانيا ورغبته الصادقة في أن يراها محررة  
مستقلة. وفي قصيدته (نور على البنفسج) يتحدث عن شخص مستعبد، يكنى به عن  
الوطن، ويصفه بأبيات مؤثرة قائلاً:

تساقطت الأشواك بأنواعها

عليك...!!!

حتى حجبك عن الأنظار

وأدمت أظرافها

حتى نال منك الألم الصيق

وسرى السم في شرايين دمك

ساخراً منك

ويستلهم الشاعر ذكريات الماضي عندما كانت البانيا دولة حرة ذات  
كرامة، بهذا مما أيقظ الشعور والفخر الوطنيين لدى الألبانيين، ومن بين أهداف  
ديوان الشاعر محاربة العقيلة المتخلفة التي أخرت ظهور المقاومة وعاقبت توحيد  
البلاد ضد سيطرة الأعداء، ويدعو في معظم قصائده إلى العمل والفضال الموحد  
لمصلحة الوطن، ويحمل بشدة على الخونة الذين هجروا بلادهم، وانحازوا إلى

## ■ مختارات من الشعر الألباني ■

اليونانيين والصربيين والإيطاليين. يقول: /في هذا العالم نعاقب على سيناتنا ونكافأ على حسناتنا وسيرى أولئك أي منقلب ينقلبون. ويفكر المخلصون بخير بلادهم ويسعون لتحريرها فينالون كل تقدير.

طوبى لمن يدعو نفسه

رجلاً البانياً صادقاً

طوبى له ولأهله

وله المجد

ويشيد الشاعر في كثير من المواضيع بلغته القومية وبجمالها وإيقاعها السمعي، ويدعو (نعيم) المواطنين إلى محبة لغتهم وتطويرها لأن ذلك هو الطريق الوحيدة لتقدم البانيا ونجاحها. ويملأ التفاؤل قصيدة (أزهار الربيع) وموضوعها هو ثقته الراسخة بتحرر بلاده.

وفي عام ١٨٩٤ نشر (الفردوس والكلمات الطائرة) وهو كتاب يورخ أمجاد الأوتل الذين صانوا الوطن.. ومنحوا البلاد الحرية والاستقلال، ويحث على بعث تقاليد الكرامة والشجاعة التي اشتهر بها الألبان في العالم. المعارك تنكس

والبانيا تغرق في الدماء

ولما ينهزم الألبانيون

ولما يخضعون للطغيان

ظلوا يرسفون في أغلالهم

يفضلون الموت على الحياة

على أن يمتن شرفهم

كان يحث الألبانيين على الوحدة الوطنية، ويهيب بهم أن يقضوا على التفرقة ويدعوهم ليعملوا في سبيل تقدم البلاد لأن ذلك هو السبيل الوحيد للحرية.

دعونا نغرز بلادنا

دعونا نحرق البانيا

نرفعها فوق الأمم عالياً

وفي عام ١٨٩٨م نشر منحة(تاريخ اسكندر بك)مدح فيها الفترة التي عاش فيها البطل(اسكندر)،ومقاومته للجيش الغازیة لبلاده.  
وتبدأ هذه الملحمة في وصف طفولة البطل وتعداد أهم الحوادث التاريخية التي مرت في حياته .

ويصفه الشاعر بأنه قوي البنية ذو عقل رزين وقلب نبيل وبطل مقدم لا مثيل له،قائد منتصر في الحروب التي خاضها،ويبدو(اسكندر بك)تجسيدا لروح الألبانيين المتلهفين إلى الحرية.وقد عالج الشاعر بطولة(اسكندر بك)العظيمة التي قام بها في سبيل توحيد الشعب الألباني ولإتقاذ بلاده من الطامعين،واهتم بإيقاظ الشعور لدى الألبانيين وتوطيد العقيدة والإيمان بأن وحدتهم قادرة على تحقيق النصر والتغلب على كل طامع.

انتفض الملك الهرم

ليقضم الحديد بأسنانه

هو يفظ أبدا لا ترف له جفن

فأحبه الشعب الألباني

وينتقل بقصيدته إلى الاجتماع الذي عقده(اسكندر بك)وتداول فيه مع أمراء القبائل وزعماء البلاد الأحرار،ثم قرروا إعلان الثورة على كل محتل للبلاد.وفي هذا الاجتماع التاريخي يردد أحد الزعماء:

أبدا..لن ترتد الباتيا

لا..لن يرهبها شيء

لا..لن نموت...وستبقى حية

موفورة الكرامة

فالألباني..شجاع

ما عرف الخوف في العاضى

ولن يخاف اليوم..

وبعدما انتفض الاجتماع..واتخذت القرارات للمضي في طريق الكفاح والنضال، يعبر الشاعر(نعيم)إلى الومضات التي تسبق إعلان الثورة:

سأموت...!!!

ولن أرى ملامت حياً  
ظل العبودية تخيم على الشعب  
أما المواتيق  
فونهم وهراء  
إما حياة شريفة نحياها  
أو موت بكرامة..

وبعد الانتهاء من سرد قصة البطولة الرائعة والمعارك الفاصلة التي خاضها  
(اسكندر بك) يصف الشاعر (نعيم) مدينة (كرويا) وقلعتها الشهيرة.. ييُزَف إليها بشري  
عودة بطلها.

كرويا.. يا مدينة الجمال

انتظري.. انتظري اسكندر بك

هاهو ذا يعود إلى عشه

كطائر..

ثم يخاطب (اسكندر بك) بكلمات ندية تعبق بالحب والوقاء

ستحبيا بفخر

يا قائد الألبانيين

في قلبك تضطرم النيران

يا فرحة منحت بلادي

لقد عاد اليوم المنتظر الجميل

وهبط إله النور إلى الأرض

ويبقى الشاعر (نعيم فراشري) من أكبر الشعراء الألبانيين الذين نادوا بالحرية..  
وهاهو ذا يمسح عن جبين وطنه غصون المعارك الضارية ويلوح براية الأمل في  
أرجاء بلاده

لي عظيم الرجاء

ألا تبقى بلادي مضطهدة

مستشرق في أرجائها شمس الحرية..

## وتزدهر في ربوعها الحياة

سببني ذلك النوم  
الذي ننشر فيه  
الألوار الساطعة  
ويحالفنا فيه  
الحظ السعيد..

ومات الشاعر في مدينة /استانبول/ عام ١٩٠٠م بعيداً عن وطنه الذي أخلص  
له، وبيلاده التي تغنى بجمالها..  
وفي عام ١٩٧٢م إعادة رفاته إلى البانيا.. وتفن في الرابطة الخضراء المطلة  
على مدينة /تيرانا/.. وبذلك ضمت الأم -الوطن الشاعر الكبير بساعديها.. واحتفظت  
به بين ضلوع التربة المضخة بعطر أغانيه المنثنية، ودموع الحرمان الندية.

تنساب منها الأنفمات  
ويسيل معها الألم  
بتنهيدات لا تنتهي

أنا الثنائي.. صديق المعذبين  
أعني حظوظهم البائسة  
وأشاركهم مرارة نفوسهم

أبكي عالم الألم هذا  
بدموع حرة  
وتسيل روحي  
في كل زمان ومكان

يستمع العالم إلى ألهاني

## ١- الثنائي

هيا اسمعوا صوت الثنائي  
يحكي لكم آلامه وغربته  
يشكو لكم هذا العالم القاسي  
بنفماته الإنسانية

الثنائي.. الذي اقتطعتموه  
من أصدقائه

ومن كل ماهو عزيز عليه  
فأبكي الناس  
نواحه المتواصل

تقوبه محفورة كصدري



لكنهم لا يعرفون ما بقلبي  
لأنهم لا يرونني من الداخل  
ولا يشعرون بنار الألم  
تكوينني..  
وإذا أسمعتهم شكواي  
تحلقوا حولي..  
فأعزيهم.. وأنسيهم متاعبهم  
وما من أحد يعزيني

كل مخلوق وحيد  
يشده نغم الناي  
ويشجيه صوته الرخيم  
ويبعث في نفسه الأسى

نار الحب تلك.. لامست السماء  
فأحرقتها..  
ورافقت الكواكب والنجوم  
التي زرعتها السماء بكفها

نار الحب تلك..  
لازمت حقيقة الوجود  
وغناه..  
وتجاوزت هموم بني البشر

لا يخدعكم صوت الناي  
فهو ليس خفيفاً للريح  
في القصب  
إنه نار الحب  
تنتشر مع الأبحان

من ذا الذي يصل إلى  
السماء.. فينيرها.. ؟  
من ذا الذي يصل إلى القلب  
.. فيحطمه.. ؟  
من ذا الذي ينفذ إلى الخمرة  
.. فيمنحها الحياة.. ؟  
من ذا الذي يصل إلى الروح .. فيبعث

فيها النشوة .. ؟

من ذا الذي يمنح الوردة العطر  
والنور والجمال  
من ذا الذي يهب السعادة للشحور  
والبهاء للوجود

نار الحب تلك.. لامست السماء  
فأحرقتها..  
ورافقت الكواكب والنجوم  
التي زرعتها السماء بكفها

نار الحب تلك..  
لازمت حقيقة الوجود  
وغناه..  
وتجاوزت هموم بني البشر

أيتها النار المباركة  
إن ذاتي قد تحجرت  
قبل أن أؤمن لهيك ، فأذوب  
ولم يبق  
إلا أن تفارق الروح الجسد

٢- قلباً

عندما تغدو الغيوم حالكة  
وتثور الريح في الفضاء

وتصبح الأرض جحيماً  
ويشق البرق السماء  
سرعان ما ينهمر المطر بغضب  
سيولاً وأنهاراً  
تغمر عالمنا  
وتسير إلى البحر  
وليكربك يعود كل شيء..  
لقد آن لقطرة الماء تلك  
أن تذهب، وترتمي في لجج الماء  
في المحيط الذي لا نهاية له  
عسى روحي وقلبي  
يعرفان الراحة

### ٣- لماذا ..؟؟؟

هكذا قلبي  
يحترق ويتفجر  
وتتهدأني ..  
تثير الدم في صدري  
أيتها الحشرة التي تتخبط في الماء  
ستسطع شمس الأمل  
وتهدأ العاصفة  
ويكتب لك الخلاص ..  
المطر يخدد الأرض  
ويسير الصيف إلى قبره طائعاً  
في جنازة الأوراق  
التي يجلبها السيل معه  
إلى البحار ..  
أيتها البحر  
يامن. يعانق الوجود  
منك ينهل كل ينبوع  
أفلا تقبل أيها الغيوم  
ولم الانتظار  
وهل يطيب لك  
أنك تركتني في الظلام  
هيا انطلق  
تقدم نحونا  
هيا، هيا تقدم بسرعة  
أيها اليوم الجميل  
طل بنا الانتظار  
والرغبة في العيش  
تعال أيها اليوم الذي تمنيناه  
لنكن ولادتك مع غروب الشمس  
لنترب بقاعنا  
فلا تشح بوجهك عنا

في ذلك اليوم  
الباتيا  
يغمرها النور  
وبجانبتها الضعف والافاق  
ومن أجلها  
تقبل الأيام السعيدة  
في غد مشرق  
ويتبدد الظلام

هنيئاً لمن يحيا  
حتى يراها سيدة  
تبني وحدتها  
بلغتها وأرضها  
هنيئاً لمن يراها  
تتألق عما قريب

آنذاك تغمرها  
المعرفة والازدهار  
والرخاء ..  
ويتدفق الخير سريعاً

### هـ-الجمال

إله حقيقي أنت  
لملمت خيوط النور  
ونسجت منها الشمس والنهار

يا نور الحياة .. والخلود  
ياصفاء الحقيقة  
يافرحة السماء  
ابعث بضياؤك إلينا  
عسى أن نكون اليقظة

### ع-الأمل ..

أتضرع إلى الله  
أن يشمل الباتيا بعطفه  
أن يجنبها الذبول  
ويشرق في سمائها الأمل  
فتزدهر وتحيا  
أرجو أن يأتي ذلك اليوم  
الذي يحمل إلينا  
الضياء الكبير

فيعم الباتيا  
التقدم  
والازدهار  
والإخوة  
الاتحاد  
والإحسان  
والخير والهناءة  
بالمساعدة من يرى ذلك اليوم  
أوحيا فيه  
ذلك اليوم...أت لامحالة..

لنبقى مدى الوجود أبدية  
أبدعت في لمسك السحرية  
العنق.. والصدر الناهد  
والوجنتين الحمرأوين  
والجبهة العريضة  
ولبدة الرجولة  
والساعدين المفتولين  
والعينين الواسعتين  
والأهداب المنحنية ..  
والساقين الرخاميتين  
واليدين الناعميتين

•

في طلعتك وجدت الجمال  
كالنبي(موسى)  
الذي وجد إلهه عند قمة الجبل  
جميلة هي الأزهار والبزاعم  
لكنها أمامك..باطلة..

•

عندما أرى وجنتيك  
لا أجد للوردة الجميلة أية روعة  
عينك تجددان في أعماقي الروح  
وجمال الأمل طغى على جمال البلبل

•

النجوم والقمر  
تبدو مشوهة  
لأنني لمحتها  
عندما لمحت عينيك الواسعتين

ولما كنت أنظر إلى قوامك  
ألهمت قلبي بسهام نظراتك  
سأمت بعد ما يغمرنى الفرح  
آه لو ترددين:  
مات لأجلي..فالرحمة له

•

يوجد الجمال في كل مكان  
في السماء  
والأرض  
والقمر  
والشمس  
وفي الغابة الموحشة  
بين الأزهار  
تحت الأشجار  
ويبقى صداه وفي كل مكان  
يوجد فيه الإله  
وتوجد فيه الصور الرائعة  
وفي إطار هذه الصور الخالدة  
ولدت أنت ..

•

## ٦-جمال القطيع

آه..ماأروع جمال القطيع وهو يمرع  
يعود كالنحل..  
الماعز..والخراف..  
انتشرت في السهول والمراعي..  
والجدي الصغير وحده

عندما يحس بالجوع  
يلجأ إلى رفاقه  
ويفتش معهم عن أمه  
حتى إذا ما وجدوها  
اندفع نحوها..وركع بين قدميها  
يبحث عن ثديها  
ليرشف اللبن

ما أسعد أمه  
فقد غمرها الفرح  
وهو يمتص ضرعها المليء

بقي بين الأشوك في السفح

•  
ما أجمل مرحها..ولعبها  
تتأثرت هنا..لتجتمع ثانية هناك  
تفرقت بسرعة..وابتعدت بخفة  
غادرت أماكنها لتتطلق وتقفز  
والجدي الصغير وحده  
يسير..ويسير..

ولا يشعر بالتعب..



<http://Archivebeta.Sakhril.com>

□□□

# قصيدتان للشاعر الإنكليزي روديار كبلنج

■ موسيقى عاطفية ■

شاعر وروائي إنكليزي في الهند سنة ١٨٦٥، من أكثر مؤلفاته انتشاراً ديوانه الشعري الذي يحمل عنوان: "أناشيد متنوعة" صدر سنة ١٨٨٦، وروايته: قصص مبسطة من السهول\* صدرت سنة ١٨٨٨.

وهو أول أديب إنكليزي يفوز بجائزة نوبل للأدب سنة ١٩٠٧.

توفي سنة ١٩٣٦.

## في سبيل ممتلكاتنا

### ووجودنا..

في سبيل ممتلكاتنا ووجودنا،

وفي سبيل مصائر أطفالنا،

هَبُوا واسلكوا درب القتال،

فالهنوي<sup>(١)</sup> يتريص عند الباب

انقضت أيامنا في هذه الدنيا،

نتيجة لاستهتار أصحاب العرس.

(١) الهوني.. أحد أفراد المغول المنتقلين  
الذين غزوا أوروبا.

ولم يبق لنا اليوم

سوى الحديد والنار والحجر

رحل الذين نعرفهم كلهم،

وبقيت الوصايا القديمة:-

لتبقى قلوبكم عامرة بالشجاعة،

ولتبقى أيديكم مرفوعة وقوية.

نترامى إلى مسامعنا الكلمة مرة ثانية

أن الأرض السقيمة منذ الأزل:

لأمرعة فيها إلا للسيف

الذي لا يزال ساكناً في غمده،

فهو الذي يجمع الناس ثانية،

## المستوطن

"حطت حرب جنوب إفريقيا أوزارها  
في شهر أيار من سنة ١٩٠٢".

هنا، حيث تتحفر أنلامي الحديثة،

وحيث تتلأأ التربة العميقة اللقائية،

سأصوب الأخطاء التي أرتكبت

بحق الأموات والأحياء.

هنا، حيث سقطت اللقطة الصماء،

وحيث انفجر اللغم المفجع،

سأغرس غرسة وأحفر بئراً،

لمواجهة الغيظ والظما

هنا، في هذه الأرض الشاسعة

المشمسة،  
http://www.archivebeta.sakhril.com

حيث لا توجد آثار تتخر العظام،

سأضع يدي في أيدي جيرانتي

وسنفكر ونتأمل معاً

بالحماسة الجمة والدماء الحمراء

والنتائج المأساوية التي خلفتها:

تعطي وتأخذ العزاء من كل منا

عبر حظيرة الماشية

هنا سنتحد ضد خصومنا-

العواصف وموجات البرد،

وتذهب الأم من جديد

لنتلقى وتختلف وتفرض بالقوة

شروطاً على عدد أروع مهزوم.

العزاء والقناعة والحبور،

تفوز في سوق العصور الراكدة،

بعد الذبول في إحدى الليالي

نحن وحدنا الذين بقينا

لكي نواجه الأيام العجان

في موقف صامت ثابت،

عبر فيض المخاطر والمخاوف

التي تتجدد على الدوام

رغم أننا لم نفعل سوى الرحيل،

فإن الوصايا القديمة باقية:

لنتبّق قلوبكم مفعمة بالصبر،

ولنتبّق أيديكم مرفوعة وقوية.

ليس الأمل السهل ولا الكذب

ما يحقق لنا أهواننا،

بل التضحية الجسيمة

بالجسد والإرادة والنفس،

وليس أماننا سوى عمل للكل

أن يهب كل منا حياته،

فماذا يبقى إذا اتهارت الحرية؟

ومن يمت عندما تعيش انكلترة؟

## ■ قصيدتان للشاعر رونيلا كيلنج ■

|  |  |
|--|--|
| وهبوب واتدفاع السحب الحمراء<br>وأسراب الجراد التي تمتد أميالاً.<br>والجليد وطاعون الماشية والطوفان<br>سندعها توحد سيرنا معاً في<br>الحروب المقدسة التي لا هدنة فيها<br>نفاضل بين البذور وموجات<br>الحصاد.  | المستصلحة<br>تصرخ، كما الحقول المهجورة:<br>على الموتى أن يدفنوا موتاهم ، وأما<br>أنتم<br>فتخدمون جيوشاً لم تد.   |
| الأرض، حيث وجدنا لنذبح أو لنذبح،<br>سنسترد الحياة بقوة محببتنا<br>سنجمع ونسوق إلى شفتيها من جديد<br>مياه الكفاح الطويل القديم،<br>من الجداول البعيدة الحصينة<br>ومن البرك حيث نستلقي وننتظر،<br>متى يحجب القمح أحلامنا الشريرة<br>وينتزع القمح الحديث أحقادنا<br>وعندما نتذكر المعارك القديمة،<br>سنجاهل الآثام والذنوب- | مبارك المحراث الجديد<br>والحيوانات الصالحة التي تجره،<br>والخبز المقترن بعرق الجبين<br>كما جاء في الشريعة<br>سنأتي بعدنا الأجيال<br>وتعيش برفاحية على ما أنجزنا،<br>وهكذا نطعم من خيرات أرضنا<br>الأجيال التي تعيش في أرضنا<br>هنا، في موجات وأغوار سهولنا<br>حيث يستقر السكون الشافي،<br>وحيث تتوافر كوايح السماء الرحيمة<br>والأيام الطويلة التي تصنع الحكماء<br>يبارك الله استثمارنا للمطر والشمس<br>وتتوضع البذرة العمياء في مرتعها،<br>وهكذا نصوّب الخطأ المرتكب<br>بحق الأموات والأحياء. |

□□□



## أقصوصات شرقية

Nouvelles Oneulales

1938

Lasvenle Yowceua

### كيف تم إنقاذ فانغ فو

مارغريت يورسونار

طالبات دبلوم الترجمة والتعريب بإشراف

■ د. مها ياردي ■

كان الرسام العجوز فانغ فو وتلميذه لينغ يهيمنان في طرق مملكة الهان، وكانا يتقدمان ببطء إذ كان فانغ فو يتوقف ليلًا ليتأمل النجوم ونهاراً ليراقب حشرات اليعسوب. لم يكن حملها ثقيلاً، إذ كان فانغ فو يحب صور الأشياء لا الأشياء ذاتها، وبدأ به أن لا شيء في العالم جدير بالامتلاك عدا الفرشاة وزجاجات الألوان والحبر الصيني ولقائف الحرير وأوراق الأرز.

كانا فقيرين، فكان فانغ فو يحتقر النقود ويقايض لوحاته بقليل من حساء الأرز الأبيض. أما تلميذه لينغ الذي كان ينوء تحت ثقل الحقيقة المليئة بالتصاميم فقد أحنى ظهره باحترام كما لو أنه يحمل القبة السماوية، إذ بدت هذه الحقيقة لعينيه مليئة بالجمال المغطاة بالتلوج وبأنهار الربيع وبوجه القمر في الصيف.

لم يُخلق لينغ للركض في الطرقات إلى جانب رجل عجوز استولى على الفجر واستحوذ على الغسق، فوالده كان صرافاً للذهب وأمه كانت الابنة الوحيدة لتاجر أحجار الجاد الكريمة الذي أورثها كل ممتلكاته وهو يلعبها لأنها لم تكن صبيهاً. وترعرع لينغ في منزل لا تترك الثروة فيه مكاناً للصدف. فجعلته هذه النشأة الصارمة المرسومة مسبقاً خجولاً يخاف من الحشرات ومن

الزرد ومن وجوه الموتى. وعندما بلغ الخامسة عشرة من عمره اختار له والده عروساً جميلة جداً، فقد كانت فكرة السعادة التي منحها لابنه عزاء له لأنه أصبح عجوزاً لا ينفعه الليل إلا للنوم. كانت زوجة لينغ رقيقة كالقصب، صافية كالجليد، عذبة كاللعاب ومالحة كالدموع وبعد العرس حمل والداه سر زواجه حتى مماتهما وبقي ابنهما وحيداً في هذا البيت القرمزي اللون برفقة زوجته الشابة التي كانت دائمة الابتسام وبرفقة شجرة الخوخ التي كانت تعطي وروداً زهرية كل ربيع. وكان لينغ يحب هذه المرأة ذات القلب الصافي كما يحب المرأة الصافية والتعويذة التي تحميه دائماً، وكما كان دارها، فقد اعتاد لينغ ارتياد قاعات الشاي، وكان يفضل باعتدال البهلوانيين والراقصات.

وذات ليلة وفي إحدى الحانات كان فانغ فو يجلس على الطاولة. وقد شرب العجوز ليصل إلى أفضل حالة تمكنه من رسم رجل ثمل وكان رأسه مائلاً كما لو أنه بذل جهداً من قياس المسافة بين يده وقدمه. وحلّ كحول الأرز رباط لسان هذا الفنان للصامت فكان فانغ فو يتكلم ذلك المساء كما لو كان الصمت جداراً وكما لو كانت الكلمات ألواناً مهيبة لتغليظه. وبفضله تعرف لينغ على جمال وجوه الشاربين المتلاشية خلف بخار الشراب الساخن وعلى لون وجوه الشاربين المتلاشية خلف بخار الشراب الساخن وعلى لون اللحم الأسمر المشرق المتأكل عشوائياً بالسنة النار والبقع الوردية الجميلة للنبيذ المتناثر على أغشية الموائد كتويجات وردة ذابلة وشقت الريح النافذة مدخلة رذاذ المطر إلى الغرفة. فقال فانغ فو ليجعل لينغ يُعجب بخطوط البرق الزرقاء اللامعة، وعلى أثر ذلك لم يعد لينغ يخاف من الرعد.

دفع لينغ حساب الرسام العجوز وبما أن فانغ فو لم يكن لديه مال ولا مأوى فقد عرض عليه لينغ بتواضع مكاناً ليأوي إليه، فمشياً معاً في الطريق ذاتها وأخذ لينغ معه مصباحاً كان بريقه يعكس في برك الماء نيراناً غير متوقفة وفي ذلك المساء أدرك لينغ بدهشة أن جدران منزله لم تكن حمراء اللون كما كان يعتقد بل كان لونها كلون برتقالية على وشك التعتف. وفي الفناء لاحظ فانغ فو الشكل الدقيق للشجيرة الصغيرة التي لم يعرها أي شخص انتباهاً حتى ذلك الوقت وشبهها بفتاة شابة أرسلت شعرها المبلل ليجف. وفي الممر تابع فانغ فو بإعجاب السير المتردد لنملة في شقٍ طويل لحائط مرتفع وعلى

أثر ذلك تلاشى خوف لينغ من الحشرات وبعدها أدرك لينغ أن فانتغ فو قد منحه روحاً وحساً جديدين. فأعطاه باحترام الغرفة التي مات فيها والده لينام فيها.

ومنذ عدة سنوات كان فانتغ فو يحلم بأن يرسم لوحة لأميرة من سالف الزمان تعزف على عودٍ تحت شجرة صنصاف، ولم يكن هناك أية امرأة في الحقيقة ترقى لتكون نموذجاً له. ولكن لينغ كان يستطيع أن يكون ذلك النموذج إذ أنه لم يكن امرأة. ثم تحدث فانتغ فو عن رسم أمير شاب يشد قوساً عند جذع شجرة أرز كبيرة ولم يكن هناك أي شاب في الزمن الحاضر يسمو ليكون نموذجاً لفانتغ فو. ولكن لينغ جعل من زوجته نموذجاً تحت شجرة الخوخ في الحديقة، ثم رسمها فانتغ فو في ثياب جنية وسط سحب السماء. وبكت الزوجة الغتية لأن ذلك كان نذير شؤم بالموت.

ومنذ أن أصبح لينغ يفضل اللوحات التي يرسمها فانتغ فو لزوجته عليها، أخذ وجهها يذبل كوردةٍ على أكمةٍ تهب عليها الرياح الساخنة وتهطل فوقها أمطارٌ تصيف. وذات صباح وجدت مشنوقة على أحد أغصان شجرة الخوخ الزهرية وكانت أطراف الوشاح الذي خنقت نفسها به ترفرف مع شعرها وقد بدت أكثر نحولاً مما كانت عليه وصانقة كما الجميلات اللواتي كان يتغنى بهن الشعراء في الأيام الخوالي. وقد رسمها فانتغ فو للمرة الأخيرة لأنه كان يحب تلك المسحة الخضراء التي تغطي وجوه الموتى، وكان تلميذه لينغ يمزج الألوان وكان هذا العمل يحتاج إلى الكثير من المشاورة حتى أنه أنساه ذرف الدموع.

باع لينغ على التوالي ما يملك من العبيد وأحجار الجاد الكريمة والأسماك ليوفر للمعلم قوارير الحبر الأرجوانية المستوردة من الغرب، وعندما أصبح البيت فارغاً غادراه وأغلق لينغ خلفه باب ماضيه. ضجر فانتغ فو من المدينة حيث لم تعد الوجوه تعلمه أي سر من أسرار القبح أو الجمال وهام المعلم وتلميذه على وجهيهما سوياً على طرق مملكة الهان.

وكان صيتهما قد سبقهما إلى القرى وعلى عتبات القصور المنيعة وتحت أروقة المعابد حيث يلتجئ الحجاج القلقون عند الغروب. وقيل أن فانتغ فو لديه القدرة على إعطاء الحياة للوحاته بلعسة أخيرة من اللون يضيفه إلى عيون

## ■ كيف تم إنقاذ فانغ فو ■

الشخص كان المزارعون يأتون إليه متوسلين ليرسم لهم كلباً للحراسة وكان السادة يطلبون منه صوراً بجنود، كان الكهنة يكرمون فانغ فو مثل حكيم، أما الشعب فكان يخشاه مثل ساحر. وفرح فانغ فو بهذه الآراء المختلفة التي كانت تسمح له بدراسة ما حوله من عبارات الامتنان والخوف والاحترام.

كان لينغ يستجدي الطعام ويسهر على غفوة معلمه وينتظر لحظات شطحه ليدلك له قدميه. وعند الظهيرة حين يكون العجوز نائماً يذهب لينغ لتصيّد المناظر الخجولة المكنونة خلف باقات من الأغصان، وفي المساء عندما تفتت همة المعلم ويرمي بريشاته إلى الأرض كان لينغ يقوم بجمعها، وعندما يشعر فانغ فو بالحزن ويتحدث عن طول عمره كان لينغ يشير مبتسماً إلى التجذع الراسخ للسندانية الهرمة. وعندما يكون فانغ فو مرحاً، ويتلفظ بالمزاج يتظاهر لينغ بأنه يصغي إليه.

وذات يوم عند غروب الشمس بلغا ضواحي المدينة الامبراطورية وبحث لينغ لفانغ عن خان يقضي الليلة فيه، كان العجوز يرتدي ثياباً رثة وكان لينغ ينام بجانبه كي يدفئه فالربيع كان ما يزال يدق الباب باستحياء وأديم الأرض ما زال متجمداً. وعند القجر كوى وقع خطوات ثقيلة في ممرات الخان وسمعت همسات صاحب الخان المذعورة وأوامر تصنخ بلهجة مستهجنة. وبدأ لينغ يرتعش خوفاً وتذكر أنه كان قد سرق في الليلة الماضية حلوى الأرز لتكون وجبة لمعلمه ولم يشك في أنهم قد أتوا لإيقاقه، فغدا يتساءل عن سيساعد فانغ فو في اجتياز النهر القادم.

دخل الجنود ومعهم مصابيحهم، وكان الذهب يلقي من خلال الورق الملون أضواء حمراء وزرقاء على قبعاتهم الجلدية، وكانت أوتار أقواسهم تهتز فوق أكتافهم. وكان أكثرهم وحشية يصدر بغتة وبلا سيب أصواتاً مزمجرة. وضعوا أيديهم بنقل على رقبة فانغ فو الذي لم يستطع منع نفسه من ملاحظة ألوان أكماسهم التي لم تكن تتناسب مع ألوان معاطفهم.

وبمساعدة تلميذه تبع فانغ فو الجنود مترنحاً على طول الطرقات غير الممهدة وكان المارة المحتشدون يسخرون من هذين المجرمين اللذين كانا بلا شك يساقان إلى الإعدام. وكان الجنود يجيبون على أسئلة فانغ فو كلها بتكسيرة

متوحشة. ويدها المقيدتان كانتا تتألمان، أما لينغ فكان ينظر يائساً إلى معلمه ومبتسماً كأسلوب ألطف من البكاء.

وصلوا إلى عتبة القصر الإمبراطوري حيث الجدران البنفسجية المنتصبة في وضوح النهار مثل خط من خطوط الفسق. وعبر الجنود بفانغ فو صالات مربعة ودائرية لا تعد ولا تحصى كان شكلها يرمز إلى الفصول الأربعة والذكر والأنثى وطول العمر وامتيازات السلطة. وكانت الأبواب تدور على نفسها مصدرة أصوات موسيقية متزامنة بحيث يجتاز المرء السلم الموسيقي كله عند اجتياز القصر من الشرق إلى الغرب وكان القصر كله متناغماً من أجل إعطاء فكرة القوة والدهاء الذي يفوق قدرة البشر، ويشعر المرء أن أبسط الأوامر هنا يجب أن تكون حاسمة ومخيفة كحكممة الأجداد. وأخيراً نذر الهواء وأصبح الصمت ثقيلًا جداً حتى أن المعذب لم يكن ليمالك الجراءة على الصراخ، وارتجف الجنود كالنساء ودخل الجمع الصغير إلى القاعة حيث يتربع ابن السماء على العرش.

كانت غرفة بدون جنود على أعمدة سفينة من الحجر الأزرق وكان هناك حديقة مزدهرة على الجهة الأخرى من أعمدة المرمر وكل زهرة من هذه المجموعة كانت من نواع نادر مما وراء الفخيلات ولم يكن لأي واحدة منها رائحة خوفاً من أن تعكر الروائح الجميلة تأملات التبتين السماوي، واحتراماً للسكون المخيم على أفكاره فقد منعوا أي طير من دخول المكان كما طردوا النحل كله. وكان هناك جدار هائل يفصل الحديقة عن بقية العالم حتى لا يسمح للهواء الذي يمر فوق الكلاب المينة والجثث في ساحات القتال أن يمس رذني الإمبراطور.

كان ملك السماء جالساً على عرش من الجاد وكانت يدها مجسدين مثل يدي عجوز بالرغم من أنه قد بلغ لتوه عامه العشرين وكان ثوبه أزرق ليمثل الشتاء وأخضر ليذكر بالربيع وكان وجهه جميلاً ولكنه ساكن الجوارح مثل المرأة الموضوعية عالياً والتي لا تعكس إلا النجوم والسماء القاسية وكان يجلس وزير المتع كلها عن يمينه ومستشار التعذيب العادل عن يساره وبما أن حاشيته كانت مصطفة عند أسفل الأعمدة لانتقاط أقل كلمة تصدر عن شفاهه فقد اعتاد الكلام بصوت منخفض على الدوام.

أيها اللتين السماوي قال فانغ فو وهو ينفخني "أنا عجوز ومسكين. أنت كالصيف وأنا كالشتاء أنت تحيا عشرة آلاف حياة، أما أنا فليس لدي سوى واحدة وستنتهي. ماذا فعلت لك؟. لقد ربطوا يدي اللتين لم تؤذياك قط.

قال الإمبراطور: "أتسألني ماذا فعلت لي يا فانغ فو العجوز؟ كان صوته رخيماً لدرجة أنه كان يثير الرغبة في البكاء. ورفع يده اليمنى حتى أن انعكاسات حجر الجاد كانت تظهر مثل لون الطحالب المائية. وتساءل فانغ فو فيما إذا كان قد رسم له لوحة رديئة استحق عليها الموت، لكن هذا كان مستبعداً لأن فانغ فو كان قلماً يتردد على بلاط الأباطرة فقد كان يفضل عليها ألواح المزارعين، أما في المدن فكان يفضل ارتياد اللضواحي التي تسكنها بنات الهوى أو الخمارات التي كانت على طول الأرصفة حيث يتشاجر الحمالون.

-أتسألني عما فعلته بي أيها العجوز فانغ فو؟ تابع الإمبراطور وقد اشرأبت رقبته النحيلة نحو للرجل العجوز الذي كان يصغي إليه. سأقول لك. بما أن سموم الآخرين لا تستطيع أن تتسلل إلينا إلا عن طريق منافذنا التسعة ولكي أجعلك على علم بأخطائك يجب أن أجعلك تجوب أرجاء ممرات ذاكرتي، وأن أقص عليك قصة حياتي كلها.

لقد احتفظ والذي بمجموعة من اللوحات في الغرفة الأكثر سرية في القصر لاعتقاده أن أشخاص اللوحات يجب أن يكونوا بمعزل عن نظرات المدنسين وعن حضور من لا يستطيع غض الطرف. لقد نشأت في تلك الغرفة، أيها العجوز فانغ فو فقد صمموا من حولي جواً من العزلة وجعلوني أترعرع فيه. ولكي يمنعوا عن صفاء سريرتي أدران الروح البشرية أبعادوني عن أفكار المستقبل ولم يكن يسمح لأي شخص بالمرور أمام عتباتي مخافة أن يمتد ظل هذا الرجل أو تلك المرأة إلي. أما بعض الخدم كبير السن الذين منحت إياهم ، فقد كنت أراهم لفترات قصيرة جداً، وكانت الساعات تتوالى عليّ وألوان لوحاتك تزه مع طلوع الفجر وتذوي عند الغروب. وفي الليل وعندما كنت أعجز عن النوم كنت أنظر إلى تلك اللوحات وطوال ما يقارب العشر سنوات كنت أنظر إليها كل ليلة، أما النهار فكنت أمضيه جالساً على سجادة حفظت رسومها عن ظهر قلب واضعاً راحة يدي على ركبتي المكسورة بحريز أصفر أحلم بالفرح الذي سيجلبه لي المستقبل. وكنت أتخيل العالم وبلاذ

الهان في منتصفه يشبه السهل الرتيب أو تقعر راحة اليد التي تُخط فيها خطوط القضاء المحتوم للأشياء الخمسة. ويحيط البحر بكل هذا حيث تولد الوحوش وأبعد منه هناك الجبال التي تحمل السماء ولكي أستطيع تصور كل هذه الأشياء كنت أستعين بلوحاتك. لقد جعلتني أعتقد أن البحر يشبه غطاءً واسعاً من الماء ممدوداً على تلك اللوحات وهو شديد الزرقة حتى ليتحول أي حجر يسقط فيه إلى حجر ياقوت أزرق، وبأن النساء يتفحّن ويغلقن كالورود، تماماً كالمخلوقات الخيالية التي تتقدم وتدفعها الرياح عبر ممرات حدائقك، وبأن المحاربين القتيان ذوي الأجسام النحيلة الذين يسهرون على حراسة قلاع الحدود كانوا أنفسهم سهاماً تستطيع اختراق القلوب. وفي سن السادسة عشرة رأيت الأبواب التي كانت تفصلني عن العالم تفتتح ثانية، فصعدت إلى سطح القصر لأشاهد الغيوم لكنها كانت أقل جمالاً من غيوم فجرك وغسقك. أمرت بمحمل لي، ومهتراً على الطرق التي لم أحتط لأحوالها أو لأحجارها، تجولت في أرجاء الإمبراطورية دون أن أجد حدائقك المليئة بنساء تشبه اليراعات المضئية، نسائك اللواتي تشكل أجسادهن بذاتها حدائق غشاء. وجعلتني حصي الشواطئ أمقت المحيطات، ووجدت دم المعذبين أقل حمرة من الرمان المرسوم في لوحاتك ومنعتني براغيث الويف من رؤية جمال حقول الأرز، أما لحم النساء الحي فقد أثار شغماً أزي تماماً كاللحم الميت المدلى من كلاليب الجزارين، كما كانت ضحكات جنودي تثير في نفسي القرف والاشمئزاز. لقد كذبت عليّ يا فاتغ فو، أيها الدجال العجوز. إن العالم ليس سوى مجموعة من النبق المشوشة التي لقاها في الفراغ رسام غشاش والتي تمحوها دموعنا باستمرار. ولم تكن مملكة الهان أكثر الممالك جمالاً، كما أنني لم أكن الامبراطور. إن الإمبراطورية الوحيدة التي تستحق أن تحكم هي حيث تمر أيها العجوز فاتغ فو عبر آلاف الاتحناءات وعبر عشرة آلاف لون هي بحوزتك. أنت الوحيد الذي يحكم بسلام هذه الجبال المغطاة بثلوج لا تذوب وهذه الحقول المفروشة بنرجس لايموت وهذا هو السبب الذي جعلني أبحث عن العذاب الذي تستحقه عذاب يقيقك تحت شعوبتك أنت، هذه الشعوذة جعلتني أمقت ما أملاك وأرغب بامتلاك ما لا أملاك. وكى أسجنك في زنزانة مظلمة لا تستطيع الخروج منها، قررت أن أحرق عينيك يا فاتغ فو فهاتان العينان هما البابان السحريان

إلى مملكتك، وأن أبتز يديك لأن يديك بتشعباتهما العشرة هما الطريقان اللذان يقودان إلى قلب إمبراطوريتك. هل فهمتني يا فانغ فو؟ وعند سماع هذا الحكم كان تلميذه لينغ قد أخرج من حزامه سكيناً حادة وأسرع نحو الإمبراطورية، فقبض عليه لثتان من الحرس ابتسم ابن السماء وأضاف وهو يتنفس الصعداء: "وأنا أكرهك أيضاً أيها العجوز فانغ فو لأنك عرفت كيف تجعل نفسك محبوباً تقتلوا هذا الكلب".

قفز لينغ إلى الأمام كي لا يلطخ دمه رداء معلمه، ورفع أحد الجنود سيفه وانفصل رأس لينغ عن رقبتة مثل زهرة مقطوفة ثم حمل الخدم بقاياها وأعجب فانغ فو وهو يائس باللطخة القرمزية الجميلة التي شكلها دم صديقه على البلاط ذي الحجر الأخضر وبإشارة من الإمبراطور قام خصيان بمسح عيني فانغ فو. قال الإمبراطور "اسمع يا فانغ فو العجوز وجفف دموعك فهذا ليس وقت البكاء، يجب أن تبقى عينك صافيتين كي لا تفقد دموعك البقية الباقية لهما من النور، فليس الحقد وحده هو ما يجعلني أتمنى الموت ولا القسوة وحدها تجعلني أرغب في رؤيتك تتعذب، فأنا لذي مشاريع أخرى يا فانغ فو العجوز إنني أملك من ضمن مجموعة أعمالك لوحة رائعة حيث انعكاسات الجبال ومصبات الأنهار والبحر صغيرة للغاية بلا شك، لكنها واضحة وضوحاً يفوق الأشياء ذاتها مثل تلك الأشكال التي تتراءى على جوانب كرة لكن هذه اللوحة غير كاملة يا فانغ فو فتحفتك هذه في مرحلتها التمهيدية الآن. ومما لا شك فيه أنك في اللحظة التي كنت جالساً ترسم وحيداً في أحد الوديان لاحظت عصفوراً يطير أو طفلاً يلاحق هذا العصفور وجعلك منقار العصفور أوخذ الطفل تنسى جفون الموج الزرقاء ولم تنته أهداب رداء البحر ولاشعر أشنة الصخور. أريدك يا فانغ فو أن تكرر ساعات النور المتبقية لديك لتتهي هذه اللوحة التي ستحتوي على الأسرار الأخيرة المتراكمة على مدى حياتك الطويلة، ولا شك بأن يديك وهما على وشك البتر لن ترتجفا فوق قطعة الحرير وستخترق اللاتهاية عمالك بواسطة خطوط تظليلية من الشبوم. ولا شك بأن عينيك وهما على وشك الانطفاء لما تكتسفا علاقات على حدود المعاني الإنسانية، وهكذا سيكون مشروع أيها العجوز فانغ فو وأنا أستطيع أن أجبرك على إتهائه. وإذا رفضت قبل أن أجعلك أعمى سأحرق كل أعمالك وعندئذ ستصبح شبيهاً بابي قد



دُبح أبنائه ودمرت أماله بذرية تخلفه. لكنني أعتقد -إن شئت- بأن أمرى ليس إلا عملاً مرده خيبة قلبي لأنني أعرف أن القماش هو معشوقتك الوحيدة التي ما دأبت غيرها -وسأقدم لك القراشي والألوان وبعض الحبر لتشغل ساعاتك الأخيرة، وستكون هذه صدقة تقدمها فتاة هوى إلى رجل يشرف على الموت.

وبإشارة من الإصبع الصغير للإمبراطور حمل خصيان اللوحة غير المنتهية باحترام وفيها كان فانغ فو قد رسم صورة للبحر والسماء.

جفف فانغ فو دموعه وابتنس لأن هذا الرويسم ذكره بشبابه. كل ما في اللوحة يؤكد عذوبة الروح التي لا يستطيع فانغ فو أن يدعيها إدعاءً لكن هذه العذوبة تنقصها بعض الأشياء لأنه في الفترة التي رسم فيها اللوحة، لم يكن فانغ فو قد تأمل بما فيه الكفاية الجبال والصخور التي تسبح حوافها العالية في البحر ولم يكن قد توغل في حزن الفسق.

واختار فانغ فو واحدة من القراشي التي قدمها له أحد العبيد وبدأ بتمديد التدفقات الزرقاء الواسعة فوق البحر اللامتناهي، وكان أحد الخصيين جالساً القرفصاء عند قدميه ليمزج له الألوان ولكنه لم يتمكن من أداء ذلك العمل بشكل جيد فتحصر فانغ فو على زميله لينغ.

وبدأ فانغ فو بتلوين طرف جناح عيمة مستقيمة فوق الجبل بلون زهري، وبعد ذلك أضاف على البحر خطوطاً صغيرة لم تزد إلا إلى جعل شعوره بصفتاه أكثر عمقاً. وأصبح البلاط المصنوع من الجاد بشكل خاص رطباً، لكن فانغ فو المأخوذ بلوحته لم يلاحظ بأنه كان يعمل وقدماء في الماء.

وكبر تحت ضربات ريشة الرسام القارب الصغير الذي كان الآن يشغل القسم الأمامي من اللوحة بأكملها. وعلت أصوات ضربات المجاذيف المنظمة فجأة عبر المسافة سريعة وحيوية كضربات الجناح واقترب الصوت ليملأ ببطء القاعة كلها. ثم توقف فجأة وارتفعت نقاط الماء حول الریان، وكان الحديد الأحمر المخصص لفقء عيني فانغ فو قد انطفأ على جمر الجلال منذ فترة طويلة ومغمورين بالماء حتى أكتافهم، ثبت المرافقون في أماكنهم ورفعوا أنفسهم على أطراف أقدامهم. ووصل الماء أخيراً إلى مستوى المكان الإمبراطوري وكان الهدوء عميقاً جداً حتى أنه أمكن سماع انهمار الدموع.

## ■ كيف تم إنقاذ فانغ فو ■

كان هذا حقاً لينغ. كان لينغ يرتدي ثوبه اليومي القديم وكان كفه الأيمن ما زال يحمل آثار التمزيق الذي لم يكن عنده الوقت لإصلاحه في الصباح قيل مجيء الجنود. ولكن كان هناك وشاح غريب أحمر اللون حول رقبته، قال له فانغ فو بهدوء وهو يتابع الرسم، "لقد ظننت أنك مت".

قال لينغ بكل احترام: "كيف لي أن أموت وأنت ما زلت على قيد الحياة؟ وساعد لينغ معلمه في ركوب القارب وانعكس سطح الجاد على الماء فظهر لينغ وكأنه مبحر إلى داخل مغارة وتماوجت جذائل شعر المرافقين المغمورين بالماء على السطح مثل الأقعي وطفأ رأس الإمبراطور الشاحب مثل زهرة اللوتس.

قال فانغ فو بحسرة: "انظر يا تلميذي، سيفرق هؤلاء اليوساء إن لم يكن هذا قد تم بعد، ليس لدي شك بأن هناك ما يكفي من الماء لاغراق الإمبراطور، ماذا نفعل؟"

قال التلميذ هامساً "لا تخش شيئاً يا معلمي، فعنّا قريب سيجدون أنفسهم على اليابسة ولن يتذكروا حتى أن أكمامهم كانت في إحدى اللحظات مبللة. وحده الامبراطور سيحتفظ في قلبه ببعض المراحة البحرية. هؤلاء الناس لم يُخلقوا ليضيعوا داخل لوحة".

وأضاف: "البحر الجميل والرياح جيدة وقد بنت العصفائر البحرية أعشاشها، فلنغادر يامعلمي إلى البلد الواقع وراء الأمواج." "لنغادر.." قال الرسام العجوز.

أمسك فانغ فو بدفة المركب ومال لينغ على المجذاف. ومن جديد ملأ صوت ضربات المجذاف القاعة ثابتاً ومنظماً مثل صوت ضربات القلب. وكان شاقول المياه ينقص شيئاً فشيئاً حول الصخور العمودية الكبيرة التي عادت لتصبح أعمدة، وبعد قليل لمعت بعض البرك النادرة على رصيف البلاط المصنوع من الجاد وكانت أثواب رجال الحاشية جافة بينما بقي على معطف الإمبراطور بعض فقاعات الزبد.

كانت اللوحة التي انهاها فانغ فو موضوعة على سبّارة، واحتل الزورق الواجهة الأمامية كلها وقد ابتعد شيئاً فشيئاً تاركاً وراءه خطاً ناعماً يغطيه البحر الهادئ ولم نعد نميز بتاتاً وجه كلاً من الرجلين الجالسين داخل الزورق. ولكننا لا نزال نرى وشاح لينغ الأحمر ولحية فانغ فو تلوح في الهواء.

وتضعف ضربات المجاذيف ومن ثم تتوقف وتختفي مع المسافة، وانحنى الإمبراطور ويداه على عينيه ينظر إلى قارب فانغ فو المبتعد والذي أصبح في بقعة قاصية داخل شحوب الغروب. وكانت هناك غيمة ذهبية تعلو وتهبط على سطح البحر. وفي النهاية امتدار الزورق حول صخرة كانت تسدّ عرض البحر وانعكس خيال المنحدر الصخري على سطح البحر وأمحى الخط على السطح الخالي ولم يعد الرسام فانغ فو وزميله لينغ يظهران مطلقاً على هذا البحر من الجاد الأزرق الذي ابتدعه فانغ فو لتوه.

